البوح الذّاتي والتّشكيل الوجداني في شعر زهور العربي.

self revelation and Emotional expression in the poetry of Zouhour Larbi .

عز الدين ذويب1 *

1جامعة تبسة، (الجزائر)، azzeddine.douib@univ-tebessa.dz

تاريخ الإيداع: **تاريخ المراجعة** **تاريخ النشر:** 2024/06/30

ملخص:

تمثل تجربة الشاعرة التونسية –زهور العربي- نموذجا رومانسيا واضحا من خلال ميل الكثير من القصائد نحو الفضاء الوجداني الذاتي بتجلياته المختلفة، الذي يتحول إلى أداة من الأدوات الفاعلة المختلفة في رسم السياسة الشعرية في تجربتها سواء على مستوى تمثيل المضمون الوطني، والقومي، والإنساني من جهة.

زهور العربي صوت تونسي بارز في الساحة الشعرية العربية الجديدة لاسيما على صعيد الأصوات النسائية –جميلة الماجري (رئيسة بيت الشعر القيرواني) حليمة بوعلاق، جهاد المثناني، سميرة بن نصر.

-تمتلك الشاعرة تجربتها الخاصة وصوتها الهامس النابع من وجدان شعري مرهف، حيث اتسمت قصائدها ببصمة أسلوبية لازمتها عبر دواوينها-صهيل الروح، أنين الصمت-عربية وأفتخر، إذ دارت في فلك الذات الواقفة على حافة الوجود، وسيطرت على شعريتها حالة من الكآبة والحزن، والألم والتمرد ،والقلق الذي ينتاب الذات ليحرضها على التأمل المستمر، وإعمال النظر الفاحص لحال الذات استكشافا لموقعها الوجودي ،وتحسّسا لموطئها فوق أرض هذا العالم التي غالبا ما تتخذ المراوغة سبيلا في مواجهتها مع الإنسان ، فتمارس الذات فعلا من النظر المتأمل في الكون جلوا لأسراره وهتكا لأستاره الحاجبة.

إن الهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن الجذور النفسية والملابسات الوجدانية المتعلقة بتجربتها الشعرية.

الكلمات المفتاحية: زهور العربي- الوجدان- الذاتي- الحزن والألم- التمرد- الأمل –الحب.

Abstract:

The experience of Tunisian poet Zouhour Larbi constitutes a clear romantic case via her tendency to personal emotional space that turns into an efficient tool in drawing the poetic policy to represent the patriotic, national or human content. Zouhour Larbi is a famous Tunisian voice in contemporaneous Arabic poetry among other voices such as Djamila Elmadjeri, responsible of kairouan poet house, Halima Bouallag, Djihad Elmethnani and Samira Nbessar.

* المؤلف المراسل.

This poet has its own experience, and a whispering voice that comes out of herde eppoetic sensation. Her collections of poems (the souls whimper, Arabic and proud…) are generally mareked with constant stylistic features to the point that her poeticity became dominated with depression, sadness, pain, rebellion, and anxiety that incites the self to continuous contemplation and examine thoroughly the status of self to define her existential attitude and to assess her steps in this world which is in general deceitful when facing human and to practice deep meditation in the universe to inspect its secrets and unveil its hidden taboos.

This study aims to analyse the psychological origins and the emotional circumstances of Zouhour Larbi poetic experience .

***Keywords**: emotions, sadness, pain, rebellion, hope, love.*

تقديم :

عرف الاتجاه الرومانسي بأنّه مذهب أدبي يمثّل ردّة فعل تجاه التعقيدات الكلاسيكية، وهو نزوع ذاتي إلى استنطاق الأنا، واهتمامه بالشخصية الفردية فالشعر بات وسيلة للتعبير عن الذات وتحوّل إلى وجدان ، وتألّه الوجدان ، وانفتح عالم العاطفة والروح وهما أحوال تأنفهما الأصول الكلاسيكية ولا تعترف بهما، وها هو العقل يتحوّل إلى خادم مطيع لقيادة جديدة اسمها الوجدان، لرحلة في أعماق النفس الإنسانية وخوالجها وشطآنها ومرافئها وللكشف عن لآلئها، فالرومانسي في تجربة زهور العربي الشعرية هو البعد المميّز لها في مختلف دواوينها – أنين الصمت-صهيل الروح-امرأة من زمن الحب-كتارسيس الروح-يا أنت-عربية وافتخر-إذ أظهرت تطورا في رؤيتها الشعرية ومحاولاتها التجديدية الواعية عبر طرق ومضامين جديدة في القصائد ومحاولة التنويع في أشكال التعبير...من هذا المنطلق يلقي هذا المقال الضوء على دراسة الشاعرة زهور العربي التونسية ،التي شكّل البوح الوجداني أحد أعمدة مضامينها الشعرية،الوجدان الذاتي الحزن والحب والأمل والتمرد .

أولا:الشعر الوجداني:

يطلق في الفلسفة أولا على كل إحساس أولي باللذة أو الألم وثانيا على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة[1].

وأما ماهية الوجدان: هو النفس وقواها الباطنية[2]؛ ووجداني هو ما يجده كل أحد من نفسه أو ما يدرك بالقوى الباطنية.

يقول علي جابر المنصوري عن الشعر الوجداني:"وردت هذه الصيغة في المعجمات العربية وجدان على (فعلان) ولها معان كثيرة نقصد منها ما يخرج من (أعماق الإنسان العربي) من تأليف شعري صادق رافق حياته منذ عهد مبكر، فقد كان الشعر رفيق العربي حتى قيل "

"كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر، الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم، ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم"[3] وعليه فالوجداني نسبة إلى الوجدان أو إلى دخيلة الإنسان وسريرته وضميره، وما الشعر إلا كاشف لغموض النفس وتراتيلها وعواطفها ومشاعرها، وأخص دخائلها تجاه من يجعله الشاعر مصدرا لآهاته وزفراته وآلامه، أو الحياة أو الوجود كما

يشعر بها من خلال وجدانه ولهذا كانت وظيفة الشعر التعبير عن الجوانب الوجدانية من ذات أو فردانية الشاعر الإنسان .

الشعر الوجداني شعر يقوم على الحس الشخصي يصور ما يعتري النفس من آمال والآم وأفراح وأتراح وبغض وحقد وكره وشك ويقين و إعجاب و دهشة و كره و حب و شوق ووحشة و أنس و غربة ووحدة إلى آخر ما تصطبغ به النفس من خلال العواطف و يجيش به الصدر من أشتات الخواطر.

زهور العربي صوت تونسي بارز في الساحة الشعرية العربية الجديدة لاسيما على صعيد الأصوات التونسية النسوية الأخرى كجميلة الماجري، حليمة بوعلاق، جهاد المثناني، سميرة بنصر، وغيرهن تمتلك تجربتها الخاصة، و صوتها الهامس ،النابع من وجدان شعري مرهف، حيث اتسمت قصائدها ببصمة أسلوبية لازمتها عبر دواوينها –صهيل الروح- أنين الصمت -عربية و أفتخر- إذ دارت في فلك الذات الواقفة على حافة الوجود و سيطرت على تجربتها حالة من الكآبة و الحزن و الألم و التمرد و القلق الذي ينتاب الذات ليحرضها على التأمّل المستمر، و إعمال الفكر، و النظر الفاحص لحال الذات استكشافا لموقفها الوجودي، و تحسّسها لموطئها فوق أرض هذا العالم ،التي غالبا ما تتخذ المراوغة سبيلا في مواجهتها مع الإنسان، فتمارس الذات فعلا من النظر المتأمّل في الكون جلدا لأسراره، و هتكا لأستاره الحاجبة .

لقد رافقت الغنائية الشعر العربي تقوى حينا وتشتدّ، ارتبطت بواقع الشاعر فالأغراض التي عرفها الأدب العربي القديم و استأثرت باهتمام شعرائه أغراضا نابعة من ظروف الحياة كالفخر و المديح و الهجاء و الزهد والاعتذار و الرثاء والوصف و هي في عمومها أبعدتهم عن أجواء الذاتية المحضة الصادقة .

أما في الأدب الوجداني الحديث نجدها أغراضا إنسانية تحرّرت من التزلف و التكلّف والمجاملة فهي أميل إلى الذاتية و إلى الصدق، تتوق إلى الحلم و المحبة و الصفاء و التآخي و الخير و الانعتاق و امتلأت الدفاتر الشعرية الوجدانية بالحنين الطاغي، وبالكآبة و السأم، و الألم الحزن ،و الغربة والاغتراب، والمعاناة و الذكريات، و مرارة التجربة و الوحدة،كل ذلك بتصوير و بشفافية صادقة، و اعتراف قلب ،و بوح نفسي و فيض شعري عفوي"[4]. فمن أهم المدارات الشّعرية للبوح الذاتي و التّشكيل الوجداني للشّاعرة زهور العربي

1- الحب الذاتي: يعتبر من أبرز السمات التي تتميز بها الرومانسية فموضوعها الأول هو الحب .

الحب هو مجموعة متنوعة من المشاعر الايجابية و الحالات العاطفية و العقلية قوية التأثير، أو بالأحرى هو" التعبير عن صدق المشاعر إزاء شخص معين، لذلك نجد الرومانسية تشجع على البوح بمشاعرهم، فالحب هو حالة من التآلف بين روح و روح التقيا في غربة الوجود"[5]

في قصيدة **لماذا؟** تتجلّى لنا حقيقة المشاعر الإنسانية و صورة المرأة الوالهة التي تحسن اختيار رفيق حبها ، إنها العاشقة العاشقه ، التي تصف طبيعة علاقتها وافتتانها بذاتها التائهة ، بل تكاشفنا بقضية حبها ومشاعرها حين راودها التعلّق بذاتها الثانية فقرّرت أن تهبه حبّها و عطاءها و روحها ... فما أعظم عطاء و حب المرأة عن وعي وحسن اختيار و بصيرة تقول :

حبيبي توقف ... لحظة

فكر معي و لو مرة

لماذا أحببتك من دون الناس ؟

لماذا وضعت قلبي بين يديك ؟
لماذا عشقت عينيك ؟
لماذا سكنت عروقي ؟
و تسلّلت بداخلي كالأنفاس
فكّر معي ولو مرّة
لماذا تسكن في أعماقي ؟
لماذا لا تفارق ذاتي ؟
لماذا أراك فيزداد اشتياقي ؟[6]

ترتكز القطعة الشعرية على بؤرة توتّر استفهام –لماذا ؟ التي تحيل إلى اليقين لا إلى الحيرة و التردد بل إلى التيه و القلق ، فما أشدّ وطأة الزمن على المحب حين تغيب عنه مفاصل الحقيقة ، حقيقة الذات الثانية ، الباردة الهامدة ،التي لا تجيد قراءة تقاسيم المحبة و الصدق ، من خلال الحركات و الهمسات التي تشي كلّها بالذوبان وبالتعلق ، لقد حاولت الشاعرة أن تقنع الآخر بصدق مشاعرها بعد تأمل عميق باحثة في قصيدتها لماذا؟ متطرقة إلى جملة من التساؤلات كاشفة جوهر الروح الوالهة ، و عن سرّ الاختيار لمن عشقت عيناها واطمأنت وسكنت في عروقه و أعماقه ، إنّها تزداد لوعة و اشتياقا لرؤيته ، فالشاعرة زهور العربي تؤكد على جوهر الرّوابط الوجدانية بين حبيبين ، فالارتباط بالآخر الذي لا يزيد للمحبّ شوقا و قربا و حنينا و إحساسا جميلا ، هو ارتباط جامد و ميّت لا روح فيه.

من خلال تتبّع رؤيتها الوجدانية المتعلّقة بالحبيب ندرك تمرّسها ومعرفتها اليقينية بغايتها من اختياراتها المتمثّلة في أنموذجها الرّجولي ، فهاهي تحدّد لنا ملامح الرّجل المثالي الذي تقاسمه كعكة حبّها وأحاسيسها عن طواعية وقبول ، وهي بذلك تقدم تجربتها الوجدانية وتحدّد لكلّ عاشق يحتاج إلى قرين يقاسمه همومه، وأحزانه ،و تأملاته، وأشجانه و أفراحه و مسراته معايير الرّجولة من خلال قصيدة "أحتاج رجلا"التي تحبها و تبحث عنها في ذاتها الثانية تقول:

أحتاج رجلا
يسلبني ...لبّي
يطلق يدي لآخذ الكون
يحضنني ... يلبسني ... يغمرني
يخيط جلده ... بجلدي
يرفعني ... يدفعني
وأحيانا ... يكسرني ... يهزمني
أحتاج رجلا ... يمشي بدربي ... يحترم ضعفي
يأخذ بيدي لأبلغ ... مجدي
أحتاج رجلا محبا ... بلا قيد
عشيقا ... بلا عنف [7]

إنّها تبحث عن قرين مبهر، و مدهش في تجانسه معها، يثير دهشتها، و يطلق لها عناق الاحتواء يغمرها بحنانه و بقسوته تارة أخرى، بل رجلا يرسم مجدها و سموها، و يدفعها إلى تحقيق كل أمانيها و طموحاتها، كما يحترم عجزها و ضعفها.

زهور العربي شاعرة واثقة من قناعاتها واختياراتها ، فعشقها دون قيد أو شرط ،إذا وهن خيط رجائها، ،فعشق الحبيب فيه مودة ولين و رحمة تلك خصال روابط الوجدان بينها وبين ذاتها الثانية ،هكذا تريده رجلا يعتقها لأنها امرأة تقدس الحرية وهو مطلبها الإنساني باعتبارها امرأة واعية ومتحرّرة.

وفي قصيدة أخرى تؤكّد الشاعرة زهور العربي على أنّ أمنيات العاشق كثيرة فالمحب أمانيه لا تحدّ ولا تعدّ فما أمانيها ؟ تقول

لو كان في العمر بعض بقية
سأحضن الدنيا بكلـتا ... يدي
وأرنو و أزهو و أحبس دمعي في مقلتي
و أشدو و أجبر الطير ينصت إليّ
لو كان في العمر بعض بقية
سأكون في الحب طفلة شقية
سأبحث عنك و أعطي
و أصبر حتى أراك أخيرا
تعود بشوق كبير إليّ [8]

ما أصعب أن يشعر الإنسان بفتوره وعجزه وبدنو أجله حين تداهمه الأسقام والعلل والأمراض، إنّه لشعور رهيب بالعجز لأنّه لا يملك قدره بل حق البقاء والقدرة على مواجهة حتمية الوجود ،إلاّ أنّ الشاعرة تظهر رغبة ملحّة كلّها إصرار في تحدي نوائب الدهر وأعاصيره في أن تحتضن الدنيا ما فيها و من فيها

مؤمّلة ومبتهجة ومفعمة بالحياة، وستحرص أن تبقى على براءتها و طفولتها نقية طاهرة طاهره، و أن تظل باحثة عن ذاتها الثانية حتى تدركها و لا يثنيها في ذلك شيء لتعود منتصرة و ممتلئة بشوق كبير هذا مرهون طبعا بإشكالية الزمن ألعدمي التي لا تملكه و هو -لو كان في العمر بعض بقية- .

2-الحب الوطني:

فمفهوم الوطن يستند إلى رقعة جغرافية مشتركة، يعيش فوقها أقوام متجانسون، يشتركون في عوامل كثيرة، كاللغة، و الدين، و الثقافة، و المنشأ، و الذكريات و الرؤى و المواقف-علما- بأن هذه الروابط قد بدأت تفقد تأثيرها لتحل محلّها وطنية أوسع و أشمل أبرز ملامحها أن "الاتجاه السياسي يكاد يشكّل الإطار العام لمفهوم الوطنية، و انطلاقا من هذا الاتجاه الجديد أصبح التقارب، و التوافق بين دول و شعوب لا يربط بينهما تاريخ واحد، و لا لغة واحدة أوثق و أقوى منه بين شعوب تتكلّم لغة واحدة و لها تاريخ مشترك لكنها تنتهج سياسات مختلفة، و تبقى الوطنية إحساسا نبيلا و فيّاضا مرتبطا بوطن (أرض)، و الوطنية بهذه الدلالة وجدانية، تتمثّل في ما يكنّه الإنسان من حبّ لموطنه و ما يحسّ به من ارتباط عميق.

يتعدى حب الشاعرة الذات إلى الوطن تونس إنّها تعلن فداءها روحا وجسدا جودا و كرما لتونس الحبيبة قد تموت من أجلها بل تفديها بروحها و كيف لا وهي الوطن و الأم، قد يكون جسدها سمادا لخصوبة تربتها و أكثر قد تشقى الشاعرة و تحترق من أجل أن ترفع راية وطنها، فما أغلى أن يهب الشاعر دمه لوطنه عربون إخلاص وخلاص لتنزاح غمة الظلم و القهر و يبعث الضياء و الإشراق و الخلود. تقول:

أموت يا تونس لتبرأ
علتك
أفديك بالروح .. فأنت الأم .
و الوطن
خذي جسدي سمادا
لتربتك
و ها دمي سيولا خذيه
و اغتسلي
تصاعدت روحي لتقشع
غيمتك
و تبعث فيك نجوما
تغمرك [9]

ومن لوحاتها الوجدانية الأخرى تقاسمنا محدّدة زهور العربي مرجعيتها الدينية وطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة ، علاقة تقوم على معادلة الدّعة والسكينة فطريقة حبّها للرجل الذي ترى فيه السّكينة و الودّ والمقاسمة للهموم و الأحزان ، رجل يجيد قراءة مشاعرها ،يتحسّسها، ويفكّ شفرتها ،و يترجمها، يبعث أحلامها ويحييها مع كل طموحاتها ويبهجها،تحتويه ويحتويها، تسكنه وبسكنها ،فالحب سكينة ودعة أولا يكون .

أحبك رجلا تسافر بي
عن المألوف تبعدني
بكل الودّ في الأخطار
تقذفني
أحبك رجلا
أكلمه فيفهمني
من تقاسيمي يترجمني
يبعث أحلامي ورودا
شذاها ينعشني
أحبك رجلا
بكل بساطة أسكنك
و تسكنني [10]

لا خير في حب لا تجانس فيه ولا فهم ولا توافق ،فحب زهور العربي صريح وصادق ، فيه تفهّم وحسن فهم ، وترجمة للمشاعر من الطرف الآخر ،هذا من جهة ومن جهة أخرى قد ترتقي من الإشهار والعلن إلى التستّر عن مشاعرها بطريقة صوفية حالمة في بعض قصائدها لا تريد أن تجهر بقولها " أحبك " بل تتخذ من السماء و الغيوم و آثار الأنواء و الموج والأنداء لغة بديلا عن عشقها و تعلّقها فكل الكائنات تلهج بحب الرّجل إلا أنها ترفض أن تنبس بها و بأحرفها أ.ح. ب. ك

أنا لن أقول أحبك

وحدها السماء تفقه لغة العاشقين

و تزخها للقلوب رواء

أنا لن أقول أحبك

يكفي أن تعرفها النّجوم

على الأوتار الأ نداء

فأرهف السمع إلى همسات الموج

فك شفراتها يا سيّد الماء

أنا لن أقول أحبك .. لن أقول [11]

ثانيا:- الحزن والألم:

شاع القطوب أو العبوس في كثير من الأدب الرومانسي نتيجة للهوة الكبيرة بين أحلامهم التي تصور عوالم متتالية ينشدونها و بين الواقع الأليم من حولهم[12]

لقد أصبحت ظاهرة الحزن جليّة في مختلف كتابات القراء المعاصرين لكونهم يتواصلون أليا مع مجتمعاتهم يتبادلون معه التأثير و التأثر ، فالشاعرة زهور العربي لا تعيش في فراغ زماني و مكاني فهي " تتأثر بكل اهتزازات الذبذبة الإنسانية سلبا و إيجابا و تتأثر بكل ألوان الطيف الحياتي التي تنسكب في وعاء وجودها كإنسانة تمثل طبيعة الوجود"[13]

إن بواعث الحزن و الكآبة اللذين يتجلّيان في تجربتها ليس في الحرمان و لا في الحب الضائع و لا في فكرة الموت وإنما حزن فكري نأى عن تفكير في الحياة و الموت من جهة، و تأمل في أحوال الإنسانية من جهة أخرى ثم انتقلت هذه الملاحظات و التأملات إلى صعيد الحس فحفرت في القلب جروحا لا تندمل و أخذت من بعد ذلك تتدفق آهات و أحزانا و تلك هي رواية شاعريتها الحزينة. إذ بلمح القارئ روحها حائرة حزينة مضطربة مكفهرة في كل قصيدة من قصائدها الديوان الذي أسمته أنين الصمت – وصهيل الروح.

ولعل أيضا من الأسباب المباشرة التي شكّلت النبرة الحزينة و الحادة في تجربتها الشعرية.

إحساسها بالضياع و الغربة في مجتمع لا يحترم طبقته المبدعة ،الإحساس بالضعف و الاستسلام أمام ملابسات الحياة الثقافية والسياسية و قيودها ،بالإضافة إلى إدراكها بأهمية المسؤولية التي تقع على عاتقها كمثقفة و عجزها على مواجهة الاحباطات الاجتماعية و السياسية و اهتزاز القيم و المعايير الإنسانية ،فحزنها نتيجة ملابسات حياتية و ظروف العصر المرتهن بطبائع إنسانية مخيفة و عدوانية.

ففي قصيدة **غن** مفارقة عجيبة يتحول الغناء وجعا، والحرف شجنا ، والغناء دمعا ، والكلمة تتحول إلى بطل إنّها تأمر القلم أن ينفّس عما يختلج في خاطره من وجع بكلمات تعزف من محابر اليراع ألمها و شجنها ،فالأقلام و الحروف تساندها لترسم أملا يتحقق بألم، و تزرع كلمة حرّة جريئة تبعث من رحم حزنها و معاناتها بطلا، يخرجها من بوتقة كل ما تشعر به من كمد و حسرة ووجع، تقول:

غن، غن الكل معك بنفس الوجع
سيغنّي ..أترك قلمك يسند قلمي
اجعل حرفك يعزف شجني
غن .. غن من أعماقي احبس دمعا
في أحداقي .. أرسم روحا تنشد أملا
أزرع كلمة .. تجني بطلا[14]

و في قصيدة **غيث المآقي** تصرّ الشاعرة زهور العربي على المقاومة والتحدّي والصمود وتعلن لا للاستسلام والانهيار والتسليم ،فقلمها سيروي نزيف قحط أوراقها، و يخمد آهات بركانها، إنها شاعرة تأبى الأنين بل ستجبر دموعها أن تتجمّد في مآقي الأماني، رغم الحزن إلا أنها تتحدّى بحزنها كل المآسي والأشجان لتبقى شامخة بعد ليل سرمدي من الوجع و الأنين تقول:

قررت لن أنهار
أريد أن أرتوي .. اطفي قحط أوراقي
أريد أن أخمد بركان آهاتي
إنني على ضفاف الوجع أمارس رذيلة الأنين
لا لن أطلق سراح دموعي
لن تبرح لآلئ مآقي الأمان [15]

في الحقيقة زهور العربي ما تظهره عكس ما تبطنه ، كثيرا ما ترسم لنفسها صورة المرأة القوية المقاومة والمتحدية فنعتز بشموخها وثباتها أمام ملابسات الحياة وظروفها القاسية لكنها تنسى ما رسمته لنفسها من اعتداد فالليل وحده الكاشف لحقيقة نفسيتها ووجدانها المكلّس بركام الأنين .

تقول في قصيدة :" **مع قصيدي والليل"**

أيها الليل هذا نديمك يعاقر معك السواد
يمتطيك ليهرب من قصيدة تلهو به
تأكل أقلامه ... تستنزف حيره عنوّة
تستعجل موعد الرحيل
تاركة على ضفاف الوجدان ركاما من أنين[16]

انّه اللّيل مهبط الإلهام، ووحده منيط عن روحها المتألّمة لثام الأنين ، المنبعث من ضفاف الوجدان المثخن بالجراح وأثقال الحياة.

ومن اللّوحات الوجدانية الحزينة التي تشي صراحة بالبكاء مخاطبة مصدر وجعها وطنها، معلّلة حتميّة بكائها ما دام القهر شعارا وسلوكا، والظلم لم يرفع، والكرامة لا تصان، والآدمية تقبر وتداس... إنّها مذلة الإنسان للإنسان هذا ما سجلته في قصيدة **كيف لا أبكي** تقول:

كيف لا تبكي ويد القهر سوط سخروا؟
لجلدها .. الجوع مسامير في الأحشاء تتشظّى
توجعها ... كيف لا تبكي و قد هرمت ؟
ولم تولد كرامتها
لم تعرف لم قبرت عنوّة آدميتها ؟
لم حفرت التجاعيد على محياها مذلتها ؟
يا وطني ... يا وجعي أجبني[17]

خيّم على القصيدة استفهام معنوي موجّه إلى وطنها بعلّة إثبات حقها في البكاء و النحيب لأن يد القهر طالت جسدها وروحها وأكثر لطّخت كرامتها، فما أصعب أن يطال الظلم بنعاله المستبدّة والمتعسّفة فئة واعية تمثّل مصدر الوعي الإنساني رغبة منه تشويه سنين نضالها تاركا حدبة مسجّلة في التّاريخ.

3-التمرد:

صفة لازمة لكل رومانسي ثائر على جميع الأنظمة و القواعد و القوانين و المواصفات الاجتماعية و الأحكام المسبقة ، لكونه يناشد الحرية الفكرية و الأخلاقية و الانعتاق اللانهائي، و مع هذا التمرّد فيه عالم جديد يبنى قوامه الحق والخير والعدل والمساواة والحرية كما يقول **لامارتين**"الهدم في صالح التقدم البشري من شعراء الثورة والتمرد بايرون ووردزوروت فالرومانسية إذن وجهها الايجابي في تحديد الأفكار و المعايير الأخلاقية و تغيير عوالم السياسة و الدين و المجتمع و الفن"[18]

تصرّ الشاعرة زهور العربي على التحدّي والثبات والصمود والمقاومة رغم كل النكسات والمحن في قصيدة **تحدّي**" فلأحزان تتحوّل عندها إلى ابتسامات مشرقة و الدموع إلى غيث نافع يحيي ما في الكون من جدب وموت، بتحدّيها هذا لن تعلن استسلامها للقدر بل ستنتصر عليه و تجعله يتعلّم من صمودها دروسا ويأخذ العبر من عنادها.

تقول :

أيها القدر ... سأتحدى أحزاني
و من شجوني. سأبتسم
سأحيل دمعي ... غيثا
يحيي النبات و الشجر
يحيي الورد رغم القحط
و يجعل شذاها عبيرا
في الكون ينتشر
أيها القدر

لم أعد أخشاك
عليك حتما ... سأنتصر
و ستتعلّم من صمودي دروسا .
و تأخذ من عنادي .. العبر[19]

المتتبع لتجربة الشاعرة التونسية زهور العربي الشعرية يدرك تماما أنها إنسانة إنسانية إلى أقصى الحدود ما أكثر ما دعت إلى إنسانية الأنظمة وإلى إحياء القيم الإنسانية ومبادئ النظم التي تحقق سعادة الإنسان ففي قصيدة **بداية العصيان** "تتمرّد الشاعرة على الواقع المتردي وتبوح بما ضاق به صدرها من حيف وجور وانتهاك للحقوق الإنسانية بل ثارت ناقمة حتى على الزمان الذي ساد فيه الظلم ، رافضة الخضوع وتنفيذ القوانين الظالمة التي انتهكت من خلالها الحقوق، واضعة بذلك حدا للأنظمة الفاسدة معلنة بداية العصيان والتمرّد بعد إسقاط جميع الأقنعة.

هنا فوق قصيدي شامخة
أصارع الظلام .
أهدهد الطغيان لينام
هنا أوقف الزمان
ليشهد جنازة الجنوح والركوع
و يعلن... بداية العصيان[20]

4-الأمل:

رغم الواقع المرير الذي يعيشه المبدع داخل الأوطان العربية المستنزفة والمكبلة بقيود الظلم والقهر والاستبداد والعذابات ، لا شيء يشي ببقية من بصيص أمل يلوّح في الأفق إلا أنّ الشعراء لهم فضاءات فسيحة من العدم يخلقون وجودا ومن الظلم يصطنعون عدالة ومن الشقاوة سعادة، لا مستحيل يعيقهم عن غاياتهم وأهدافهم ، لا غرابة في هذا الجو الآسن والمكهرب والثائر تتخذ زهور العربي من زهر الياسمين-رمز الثورة التونسية –رمزا لكل ثورة وشعب يريد تحقيق السلم والسلام والانعتاق من ربقة الظلم والطغيان والجور والفقر و التعسف، فشمعة الحرية و دم الشهيد و سيف الثورة هم ثمار الخلاص و بارقة الأمل لحياة جديدة ومتجددة. تتحقق فيها سعادة الإنسان فينعم بالحرية والمساواة والعدل تقول

و كأنك يا زهر الياسمين لم تحترق
و كأنك لم تسفك دماءك لتـنعتق
و كأن ساعة التّاريخ توقّفت
لتدور عقارب الرأي عكس ثورتك
و كأن جذورك بدم الشهيد ما خضبت
و كأن أركان الدكتاتور ما زلزلت
و لا كتبت على وجه الشمس إني أنعتق[21]

ما أكثر ما استلهم الشعراء أفكارهم من الطبيعة لتكون مادة أساسية في تشكيل رؤاهم الفلسفية والإيديولوجية لاسيما السياسية منها لذلك نجد الشاعرة زهور العربي اتخذت من الغيث رمزا لحياة جديدة مليئة بالأمل حين ناجت قطرات المطر و السيل المنهمر اللذين بعثا الروح من العدم فاعتبرته يدا إلهية تنتشلها من براثن الحزن و من غيوم اليأس و القنوط ليولد بين أحضانها جنين الأمل .

يا قطرات الأمل ... با غيثا المنتظر

يا سيلا كريما ... يبعث أرواحنا من العدم

يا يد إلهية ... نمسح وجه الأرض المكفهر

لتستقبل بالأحضان ... أجنحة الأمل[22]

-5- خاتمة :

تلكم هي أهم المدارات الوجدانية التي تهيمن على تجربتها الشعرية من سؤال الذات، إلى الألم و الحزن فالتمرد و الحب الإنساني المفعم بالإخلاص للذات و المجتمع،

- الوجداني : هو صهيل الروح الرافضة للقيود، و الاستسلام و الخضوع .
- الإنساني :المحبة للسلم و السلام و الأمن و الأمان و الانعتاق من براثن الطغيان لتعيش ذاتها البريئة الطاهرة والمعتقة بالنبل و البسمة و الحنان و الأمان و الحلم الإنساني الكبير.

- زهور العربي تسعى لترقية تجربتها من خلال الاطلاع على مستجدات الإبداعات الشعرية والجمالية التي تهيمن على القصيدة التونسية الحديثة.
- تمظهرات التجديد في البنية الفكرية جليّة في تجربتها الشعرية.
- ساهمت الأديبة زهور العربي في خدمة الأدب التونسي وترقيته مجسدة ذلك في أشعارها التي نعتقد أنها مصدرا هاما من مصادر الأدب الوجداني والإنساني.
- تجربتها الشعرية لا تخلوا من ألم وحزن عميقين فالمأساة ظاهرة جلية تستدعي الوقوف من جديد حولها للكشف عن شفراتها الدفينة لكون الشاعرة تعزف سيمفونيتها الحزينة لاسيما حوما تعلق بوطنها وملابساته السياسية والقضية الجوهر فلسطين .
- ظاهرة التمرد والرفض تيمة جلية في تجربتها الشعرية بسبب الخلل في التركيبة الاجتماعية والسياسية وزيف العلاقات والقيم المستحدثة في المجتمع التونسي فصائدها تعد صرخات مدوية ترسلها من أجل إعادة بناء وترميم ما فسد من أخلاق ودين وقيم.

هوامش وإحالات المقال

[1] - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ط2، ج 2، مطابع دار المعارف، مصر 1973، ص 1013.

[2] - بن هادية علي وآخرون: القاموس الجديد للطلاب، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1979،ص1311

[3] - المنصور علي جابر: النقد الأدبي الحديث، دار عمار للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2000، ص 278.

[4] - عز الدين ذويب : الاتجاه الرومانسي في الشعر الجزائري الحديث و المعاصر 1925-1962 دراسة تحليلية، أطروحة دكتوراه ، جامعة قسنطينة، 2018-2019 ص 196.

[5] - مسعد بن عيد العطوي: الشعر الوجداني في المملكة السعودية، الرياض، ط2، 1420هـ، ص 53.

[6] - زهور العربي: عربية وافتخر، شركة الزرليللطباعة،الكاف ،تونس،ط2011،1،ص52.

[7] - المرجع نفسه، ص 9.

[8] - المرجع نفسه،ص 35

[9] - زهور العربي: صهيل الروح، شركة الزرلي للطباعة، الكاف، تونس ط1ص 21-22

[10] - زهور العربي: أنين الصمت، دار المثقف للنشر والتوزيع ،ط1،الجزائر، ص 40.

[11] - المرجع نفسه، ص 40.

[12] - اسماعيل الصيفي: شخصية الأدب العربي وخطوات في تقد الشعر والمسرح والقصة، 2003، ص29

[13] - مفيدة قميحة: الالتزام في الشعر العربي الحديث ، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2000، ص 29.

[14] - زهور العربي: صهيل الروح، شركة الزرلي للطباعة، الكاف، تونس، ط1،2013،ص 15.

[15] - المرجع نفسه، ص49-50.

[16] - المرجع نفسه، ص 74.

[17] - المرجع نفسه، ص 85-86.

[18] - عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،سوريا،ط1،1999 ص 62.

[19] - زهور العربي: عربية وافتخر، شركة الزرلي للطباعة، الكاف، تونس ط1، 2011 ص 41.

[20] - المرجع نفسه، ص 06.

[21] - المرجع نفسه، ص109 -110.

[22] - زهور العربي: صهيل الروح، ص 120-121.